أثر الحرب في تشكيل الصورة الأدبية

إعداد
د. حمد النيل محمد الحسن إبراهيم
كلية المعلمين بالأحساء

ملخص البحث

ألف المجتمع العربي الحرب منذ أقدم العصور، فكانت شغلاً شاغلاً لكل أفراده، فظهر تأثيرها في ذلك المجتمع في صور عديدة شملت كل أوجه الحياة فيه، لاسيما اللغة والأدب، فكانت رافداً مهماً من روافد الخيال العربي الذي يعد أداة مهمة من أدوات تشكيل الصورة الأدبية، فقد أوحت الحرب للعربي بأن يستخدم المفردات المتصلة بها في الدلالة على معان أخرى لا صلة لها بالحرب، وقد كان ذلك على سبيل التشبيه أو المجاز، كما يظهر تأثير الحرب أيضاً في صياغة الأمثال العربية التي جاء الكثير منها من وحي معرفة العربي بالحرب وأدواتها، ولقرب الحرب من خيال العربي استمد الرسول (صلى الله عليه وسلم) من صورها ومعانيها تشبيهات ومجازات ليقرب بها المعاني التي أراد توضيحها لأصحابه (عليهم الرضوان)، وهذا أيضاً ما درج عليه الخطباء، ثم اتضح تأثيرها جلياً في الشعر العربي، فبالإضافة إلى الكم العظيم من القصائد التي تصف الحرب على مر العصور فقد استلهم الشعراء من صور الحرب صوراً خيالية عبروا بها عن معانيهم في أبواب الشعر المختلفة، غزلاً ومدحاً وفخراً ورثاءً وشكوى، ما يؤكد الدور العظيم للحرب في تشكيل الصورة الأدبية في التراث العربي.

تمهيد:

الحرب من الظواهر التي ألفها المجتمع العربي قبل الإسلام وبعده، فقد كانت الإغارة مألوفة في المجتمع الجاهلي الذي استحكمت فيه العصبية القبلية، فمن غير المألوف ألا يغير العربي أو ألا يكون منشغلاً بالإعداد لإغارة أو صد هجوم المغيرين عليه في مجتمع لم يألف السلم يوماً ما كما يقول شاعرهم أَرْطَأةُ بن سُهَيّة:

إذا ما طلَعْنَا مِنْ ثَنِيَّـةِ لِقَلْفٍ   فخبِّرْ رِجَالاً يكْرَهُـونَ إيَابِـي(١)
وخبِّرْهُمُ أنِّي رَجَعْـتُ بِغِبْطَةٍ   أُحدِّدُ أظْفَارِي ويَصْرِفُ نَابِـي
وأنِّي ابنُ حرْبٍ لا تَزَالُ تَهِرُّني كِلابُ عَدُوِّي أوْ تَهِرُّ كِلابِـي

أو كما يقول الشاعر عَامِرُ بنُ الطُّفَيْل:

وأنَا ابنُ حَرْبٍ لا أزالُ أَشُبُّهَاسَعْراً وأوقِدُها إذَا لمْ تُوْقَدِ(٢)

ويذكر عَمْرُو بن كُلْثُوم- في معلقته- حرص قبيلته على حماية أبنائهم من المغيرين عليهم، وكذلك حرصهم على الإغارة على غيرهم ما أحسُّوا بأمن:

فأمَّا يَـوْمَ خَشْيَتِنا عليهِمْ   فَتُصْبِـحُ خَيْلُنا عُصُبَاً ثُبِيْنَا(٣)
وأمَّا يَوْم لا نَخْشَـى عليهِمْ   فَنُمْعِـنُ غَـارَةً مُتَلَبِبِيْنـا

فمبدؤهم وعرفهم (من لا يَظْلِم الناس يُظْلَم) كما عبر عنه حكيمهم زُهَيْر بن أبي سُلْمى في معلقته:

ومَنْ لم يَزُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِهِ   يُهَدَّمْ ومَنْ لا يَظْلِمِ الناسَ يُظْلَمِ (٤)

ولذا فإن تاريخ العرب قبل الإسلام وبعده ملئ بذكر الوقائع والأيام والحروب التي منها ما امتد لعشرات السنين، ولعل أشهرها في الجاهلية حرب البسوس التي دارت بين بكر وتغلب، (٥) وحرب داحس والغبراء التي دارت بين قبيلة عبس من جهة وقبيلتي فزارة وذبيان من جهة أخرى، (٦) أما في الإسلام فقد دارت حروب كثيرة بين المسلمين والمشركين في بداية الدعوة كموقعة بدر وموقعة أحد وموقعة الخندق وموقعة حنين، (٧) أو كتلك التي دارت بين المسلمين والأمم الأخرى مثل حرب القادسية التي انتصر فيها المسلمون على الفرس، (٨) وكذلك موقعة مؤتة(٩) وموقعة اليرموك(١٠) اللتان دارتا بين المسلمين والروم، وتواصلت سلسلة الحروب لفتح الأمصار، فاتجهت جيوش المسلمين غرباً ففتحت شمالي القارة الإفريقية وواصلت غزواتها حتى وصلت إلى الأندلس، (١١) ثم خرجت منها غازية تجوب أنحاء بلاد الفرنجة حاملة إليها كتاب الله وطالبة إحدى الحسنيين الشهادة أو النصر، وكذلك

اتجهت شرقاً حتى بلغت بلاد الهند والصين،(١٢) فما ونت عزائمهم ولا كلَّت أنفسهم ولا فترت خيولهم، والتاريخ شاهد يسجل بلاءهم في كل تلك الغزوات والفتوحات، هذا علاوة على ما دار بين المسلمين أنفسهم من معارك دامية في عهد الخلفاء الراشدين كموقعة الجمل(١٣) وموقعة صفين(١٤) والنهروان، (١٥) وكذلك حروب الأمويين للمناوئين لحكمهم مثل العلويين والزبيريين والأنصار والخوارج والشيعة،(١٦) ثم المعارك المتلاحقة بينهم والعباسيين تلك التي أودت بخلافتهم وبحياة الكثيرين منهم. ثم حمل العباسيون الراية في ذات الطريق إلى آخر أيام دولتهم التي أسقطها التتار القادمون من الشرق بحرب قضت على الأرواح والأموال وقدراً عظيماً من الحضارة.

لكل ذلك تركت الحروب آثارها الواضحة على فكر العرب وثقافتهم وحضارتهم، وقد لاحظ علماء اللغة الارتباط الوثيق بين اللغة وأدبها من جهة والمجتمع وما تكتنفه من ظروف بيئية واقتصادية من جهة أخرى كما يقول الدكتور عبد الواحد وافي: (من أجل ذلك أيضاً كان قسط كبير من مادة الخيال والتشبيه في كل لغة مستمدًا من مظاهر البيئة وما اختصت به طبيعة البلاد). (١٧) كما يربط الدكتور حسين الصديق الشكل الأدبي بالبنى الاجتماعية والاقتصادية أيضا إذ يقول: (فالأسلوب التعبيري المستخدم بين العمال على سبيل المثال يختلف في مفرداته وتراكيبه عن أسلوب الفلاحين والتجار..........إن اختلاف الأسلوب باختلاف فئات المجتمع يعني ارتباط الشكل الأدبي بالبنى الاجتماعية والاقتصادية لتلك الفئات).(١٨) ومن هنا كان جزء عظيم من التراث اللغوي والأدبي عند العرب مبنياً على مادة الخيال التي اسْتُمِدَّت من طبيعة ذلك المجتمع الذي أثَّرَت الحروب في كل وجه من أوجه الحياة فيه، ما أهلها لأن تكون مصدراً مهماً من مصادر الخيال الذي هو من أهم أدوات تشكيل الصورة الأدبية، على نحو ما سنعني بالكشف عنه في هذا البحث.

١- أثر الحرب في الخيال اللغوي عند العرب :

يظهر أثر الحرب وأدواتها في لغة العرب واضحاً في

مفرداتها، فقد كانت مورداً مهماً من موارد خيالهم اللغوي، بما أتاحته لهم من استخدام بعض المفردات المرتبطة بها للدلالة على معان أخرى لا تمت إليها بصلة، وقد كان ذلك من باب التشبيه أو المجاز، ومن تلك المفردات:

*الثَّقافة: تستخدم في الدلالة على العلوم والمعارف والفنون التي يُطْلَب الحذق فيها، ويقال للحاذق للعلوم مُثَقَّف(١٩) فمن أين جاءت هذه الكلمة؟ ربما تكون من قولهم الذي أورده ابن منظور: الثِّقاف: حديدة تكون مع القوّاس والرمّاح يقوَّم بها الشيء المعوج.(٢٠) ومن هنا يبدو أنه ربما أُطلق على الحاذق للعلوم مثقفاً تشبيهاً له بالرمح المقوم، وتكون الثقافة بمصطلحها الحديث مأخوذة من عملية تقويم الرمح لأنها تقويم للإنسان.

*يقولون: التوفيق والسَّداد: يريدون بالسداد أداء الأمر على أتم وجه، فلعله في أصله يرجع إلى سداد السهم وهو كما ذكر ابن منظور: السداد بالفتح معناه الإصابة في الرمي.(٢١) كما دل على ذلك قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن علي- كرم الله وجهه- قال: قال لي رسول الله: (قل: اللهم اهدني وسدِّدْني. واذكر بالهدى هدايتك الطريق، والسَّداد سَداد السهم). (٢٢)

يقولون: اغتنم الفرصة أو الشيء، أي حازه. فلعلها ترجع في الأصل إلى الغنيمة في الحرب كما يقول ابن منظور: الغُنْمُ الفوز بالشيء من غير مشقة... وفلان يغْتَنِم الأمر يحرص عليه كما يحرص على الغنيمة. (٢٣)

*يقولون: السَّهم: بمعنى النصيب. قال ابن منظور: (السَّهمُ واحد السِّهام، والسهم: النصيب، والسهم: الحظ ...).(٢٤) أما عن أصل الكلمة فيقول: (السهم في الأصل واحد السِّهام التي يُضْرب بها الميسر سُمِّي به ما يفوز به الفَالِج (الظافر) سهمه، ثم كثر حتى سمي كل نصيب سهماً). (٢٥) وقد جاء في الخبر: كتب نجدة بن عامر إلى ابن عباس (رضي الله عنه) يسأله عن سهم ذي القربى، فقال ابن عباس: والله لولا أن أردَّه عن نَتْنٍ يقع فيه ما كتبت إليه، ولا نعمة عين

... فكتب إليه:(إنك سألت عن سهم ذي القربى الذي ذكر الله، من هم؟ وإنا كنّا نرى أن قرابة رسول الله هم نحن. فأبى ذلك علينا قومُنا). (٢٦) وجاء في الأثر الشريف أيضاً عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال:(قَسَم رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) يوم خيبر للفارس سهمين، وللراجل سهماً).(٢٧)

فإن كانت دلالة السهم على النصيب ترجع في أصلها إلى سهم الميسر فإن سهم الميسر نفسه يرجع في أصله إلى سهم الحرب، وهذا أيضاً يعد دليلاً على تعلقهم بالحرب وانشغالهم بها حتى تمثلوها في لعبهم الميسر فكان منهم رابح وخاسر، كما أنهم اتخذوا أدواتها أدوات للعبهم.

لقد بلغ من ولع العرب بالحرب أيضاً أن سمُّوا بها وبأدواتها أبناءهم، فكان من أسمائهم حرب وسيف ورمح وسهم وقوس، وقد كان ذلك على سبيل التشبيه بهذه الأشياء من عدة وجوه كما لقبوا بهذه الأسماء أيضاً، فقد ورد في الخبر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لقَّب خالد بن الوليد بـ (سيف الله) فيما أورده البخاري في إخباره عن موقعة مؤته: أنَّ النبي- صلى الله عليه وسلم- نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرُهم فقال: أخذ الراية زيدٌ فأُصِيبَ، ثم أخذ جعفرٌ فأُصيبَ، ثم أخذَ ابن رواحة فأُصيب ـ وعيناهُ تَذْرِفَان ـ حتى أخذَها سيفٌ من سيوفِ الله حتى فتح الله عليهم).(٢٨)

٢ - أثر الحرب في تشكيل الصورة الأدبية في النثر العربي القديم:

بالوقف على النثر الأدبي القديم يلاحظ أنه قد كان للحرب وأدواتها دور عظيم في تشكيل الصورة الأدبية فيه، فقد استلهم العرب من صورها وتجاربهم معها كثيراً من أمثالهم وأقوالهم السائرة، تلك التي جاءت معبرة عن كثرة تجاربهم الحربية أو عن خبرتهم بأدوات الحرب ومن تلك الأمثال:

*أخاكَ أخاكَ إنَّ مَنْ لا أخَا لـه كساعٍ إلى الهيجاءِ بغيرِ سِلاح(٢٩)
*أطولُ من ظلِّ الرُّمح (٣٠) *الخيلُ أعلمُ بفُرسانها (٣١) *الحربُ خَدْعَةٌ(٣٢)
* الحرب سِجَال(٣٣)*الحذرُ قبلَ إرسالِ السهم(٣٤)*أمضَى من السيف،ومن

السهم، ومن السِّنان،(٣٥) *خيرُ سلاحِ المرءِ ما وَقاه(٣٦) *رُبَّ قولٍ أشدُّ من صَوْلٍ(٣٧) رضيتُ من الغنيمةِ بالإيابِ(٣٨) *سبقَ السيفُ العَذْلَ(٣٩) سهمُ الحقِّ مَرِيْشٌ يشُكُّ غَرضَ الحُجَّة(٤٠) *صارَ الزُّجُّ قُدَّامَ السِّنَان(٤١) *طعْنُ اللسانِ كوخْزِ السِّنَان(٤٢) *أشأمُ من البَسُوس (٤٣) *قبْلَ الرِّماءِ تُمْلأُ الكَنائن(٤٤) *قبلُ الرِّماءِ يُرَاشُ السهمُ (٤٥)*قرينُك سهمُك يُخْطيءُ ويُصِيبُ(٤٦).

ومن هذا المنطلق أيضاً جاء الحديث النبوي الشريف معوّلاً على الصور الخيالية المستوحاة من الحرب وأدواتها في تقريب كثير من المعاني التي أراد الرسول (صلى الله عليه وسلم) إيصالها إلى أصحابه وعامة المسلمين، ومن ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم) عندما أراد أن يخبر أصحابه عن خروج قوم عن الدين خروجاً بيِّناً، صوّره لهم بمروق السهم من الرميَّة: قال علي (رضي الله عنه): ... وإني سمعتُ رسولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يقول: (سيخرجُ قومٌ في آخرِ الزمانِ أحداثُ الأسنانِ، سفهاءُ الأحلامِ، يقولونَ مِنْ خيرِ قولِ البريَّةِ، لا يُجَاوزُ إيمانُهُم حناجِرَهم، يمرقونَ من الدِّين كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، فأينما لَقِيْتُمُوهمْ فاقتلُوهُمْ، فإنَّ في قَتْلِهم أجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُم يَومَ القيامةِ).(٤٧)

وكذلك عندما أراد الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يبيّن لأصحابه شدة وقع هجاء شعراء المسلمين على قريش، شبهه بوقع النبل عليهم في قوله (صلى الله عليه وسلم): (إن الله ـ عزَّ وجَلَّ ـ قَدْ أنزلَ في الشِّعْرِ ما أنْزَلَ فقالَ: إن المُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بسَيْفِهِ ولسانِهِ والذي نفسي بيدِهِ لكأنَّ ما تَرْمُونَهُم به نَضحُ النَّبْلِ).(٤٨)

ومثله ما جاء في خبر استنكار عمر بن الخطاب على ابن رَوَاحَة (رضي الله عنهما) إنشادِ الشِّعْرِ في حضرةِ النبي (صلى الله عليه وسلم). عن أنس: (أنَّ النبي دخَلَ مَكة في عمرةِ القضاءِ وعَبْدُ الله بن رَوَاحَة بين يديهِ يمشِي وهو يقول... فقال له عمر: يا بن رواحة، بين يدي رسولِ اللهِ وفي حرمِ اللهِ تقولُ الشعرَ؟ فقال له النبيُّ :(خَلِّ عَنْهُ يا عُمَر، فَلَهي أسرعُ فِيهم مِنْ نَضْح النَّبْلِ). (٤٩)

وعندما أراد الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يبين لأصحابه الوقت الذي تجوز فيه الصلاة بعد الشروق، حدده لهم بارتفاع الشمس مقدار رمح أو رمحين كما ورد في الحديث: (إذا صلَّيْتَ الصُّبْحَ فاقْصُرْ عن الصَّلاةِ، فإذا طَلَعَتْ فلا تُصَلِّ حتَّى تَرْتَفِعَ، فإنها تطلعُ حينَ تطْلُعُ بينَ قَرْنَي شيطانٍ، وحينئذٍ يسْجُدُ لها الكُفَّارُ، فإذا ارْتَفَعَتْ قَيْدَ رُمْحٍ أو رُمْحَينِ فَصَلِّ، فإنَّ الصَّلاةَ مشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ).(٥٠).

ومن ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم) مبيناً عن عظم نعيم الجنة:
(لقَابُ قَوْسِ أحَدِكُم - أو موضعُ قدَمٍ - مِنْ الجنَّةِ خيرٌ مِنْ الدُّنْيَا وما فِيْها).(٥١) ويبدو أن قياس المسافات بقاب القوس أمر مألوف ومعروف عند العرب لإلفهم القوس، ولذا جاء قوله (سبحانه وتعالى) على هذا النحو في سورة النجم مبيناً عن مدى اقتراب جبريل عليه السلام من النبي (صلى الله عليه وسلم) عندما أتاه بالوحي: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى* فكَانَ قَابَ قَوْسين أو أدْنَى﴾.{النجم ٨ و ٩}

وكذلك كان شأن خطباء العرب في خطبهم، فقد أكثروا من تعويلهم على المادة الخيالية المستوحاة من صميم معرفتهم بالحرب ومعالجتهم لأدواتها في تشكيل صورهم الأدبية حتى يقتربوا بذلك من أفهام السامعين ويجذبوا أسماعهم، لاسيما إن كان موضوع الخطبة نفسه ذا صلة بالحرب أو وعيدها كخطبة الحجاج بن يوسف في أهل العراق عندما عُيِّن والياً عليهم من قبل بني أمية، وذلك لكثرة ما خاض فيه أهل العراق من الثورات والفتن التي أغضبت عليهم الأمويين، فتصدوا لهم بالحجاج، فدخل المسجد حال وصوله إليهم ثم اعتلى المنبر وخطب فيهم خطبته التي جاء فيها (... إنَّ أميرَ المؤمنينَ نَثَرَ كِنَانَتَهُ بيْنَ يديهِ، فعَجَمَ عِيْدَانَها، فوجدَنِي أمرَّهَا عُوْدَاً وأصْلَبَها مَكْسَرَاً، فرَمَاكُمْ بِي ...).(٥٢) وهكذا استطاع الحجاج أن يطوع هذه الصورة الخيالية من وحي معرفته بمعالجة أدوات الحرب، ليعبِّر بها عن المعنى الذي أراده خير تعبير يحمل في مضمونه التهديد والوعيد الذي كان هدفاً رئيساً لخطبته، فقد

صوَّر لهم أمر انتقائه لهذه المهمة دون غيره من الولاة في صورة انتقاء السهم من عدة أسهم أخرى بتلك الطريقة المعهودة وهي العَجْم، كما أنه لم يقل:(أرسلني أو بعثني إليكم) بل قال لهم :(رماكم بي) لما توحي به هذه الجملة من تذكير بصورة الحرب التي يتوعدهم بها.

٣- أثر الحرب في تشكيل الصورة الأدبية في الشعر العربي القديم:

يظهر أثر الحرب وأدواتها في تشكيل الصورة الأدبية أوضح ما يكون في ديوان الشعر العربي القديم، فقد جاء زاخراً بذكر تلك الأيام والوقائع والحروب مبثوثة في شعر المدح والفخر والهجاء والرثاء، ما يدل على أنه قد بلغ من اهتمام العرب بالحرب أن ارتبط ذكرها ووصفها بمعظم أغراض شعرهم، كما يلاحظ أن في تسمية الشاعر أبي تمام لمختاراته الشعرية باسم(الحماسة) مع احتوائها على مختلف أبواب الشعر الأخرى لدليلاً آخر على مدى احتفال الشعر العربي واهتمامه بشعر الحرب وتغليبه على أبواب الشعر الأخرى. (٥٣).

لم يقف احتفال الشعراء العرب واهتمامهم بالحرب عند حد وصف المعارك وتصويرها وافتخارهم بانتصاراتهم فيها وتعييرهم خصومهم بهزيمتهم وجبنهم فحسب، بل تعداه إلى أبعد من ذلك فقد خامرت صورة الحرب عقولهم ومازجت أخيلتهم متشبثة بها، حتى لا يكاد الواحد منهم يتوصل إلى أي معنى من معاني الشعر الأخرى إلا عبر صورة الحرب الراسخة في عقله وخياله، فما أكثر ما عوّل الشاعر العربي القديم في تشبيهاته واستعاراته على الحرب وأدواتها والمعاني المتعلقة بها، يستمد منها صوره الشعرية التي يقرب بها معانيه ويوضحها، وما ذاك إلا دليل على قرب صورة الحرب وأدواتها من ذهن السامع وخياله، هذا القرب الذي أملته عليه ظروف حياته التي تمثل الحرب جانباً عظيماً ومهماً منها شأنه في ذلك كشأن الشاعر نفسه، ومن هنا لم يكد باب من أبواب الشعر العربي القديم - مع اختلافها- يخلو من الصور الخيالية المستوحاة من الحرب وتجاربها على نحو ما سنعنى بالكشف عنه.

أ- شعر الوصف:

لقد أكثر الشعراء العرب القدامى من تعويلهم على صورة الحرب وأدواتها في توضيح المعاني التي يوردونها في باب الوصف، فكثيراً ما شبهوا بها الأشياء التي يصفونها، وقد تكون المسافة بين المشبه (الموصوف) والمشبه به (الحرب أو أدواتها) بعيدة كما في هذه التشبيهات التي استحسنها ابن رَشِيْقِ القَيْرَوَانِي وقد كان المشبه به فيها سيفاً، منها هذا التشبيه لابن المُعْتَز يصف شرب حمار:

وأقْبَلَ نَحْوَ الماءِ يَسْتَلُّ صَفْوَه   كمَا أغْمَدَتْ أيْدِي الصَّيَاقِلِ مُنْصِلا(٥٤)

فقد علَّق عليه بقوله: إنه بديع يشبه انسياب الماء في شدقيه إلى حلقه بمنصل يُغْمَد، وهذا تشبيه مليح يدرك بالحس ويتمثل في المعقول، وكرّر هذا التشبيه يذكر إبل سفر:

وأغْمَدْنَ في الأعْمَاقِ أسْيَافَ لُجَّةٍ   مُصَقَّلَةٍ تَفْرِي بِهِنَّ المَفَاوِزَ

كما أورد تشبيهاً آخر للطِّرِمَّاح يصف ثوراً وحشياً مشبهاً له حال ظهوره واختفائه بين النجاد بسيف يُسل ويُغمد:

يَبْدُو وَتُضْمِرُهُ البِّلادُ كَأَنَّهُ   سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُغْمَدُ (٥٥)

ثم علق عليه بقوله: (وهذه نهاية في الجودة).

ومن ناحية أخرى يكثر في الشعر العربي القديم تشبيه النوق وحيوان الصحراء في صفة الضمور بأدوات الحرب مثل السيف والقوس والرمح، كما في قول كَعْبِ بن زُهَيْر مشبهاً صلب ناقته بالسيف المعجوف:

وكَأنَّ مَوْضِعَ رَحْلِهَا مِنْ صُلْبِهَا   سَيْفٌ تَقَادَمَ جَفْنُهُ مَعْجُوْفُ(٥٦)

ويشبه جَرِيْرُ ناقته وقد أهزلها السير بجفن السيف طُوِيَ حوله النجاد:

حَرْفَاً أضَرَّ بِهَا السَّفَارُ كَأنَّهَا   جَفْنٌ طَوَيْتَ بِهِ نِجَادَ يَمَانِي(٥٧)

ويشبه كَعْبُ بن زُهَيْر ناقته في ضمورها بالقوس المعطَّلة أو بالقناة التي قومت بالثقاف:

كالقَوْسِ عَطَّلَهَا لِبَيْعٍ سَائِمٍ   أوْكالقَنَاةِ أقَامَـهَا التَّثْقِيْفُ (٥٨)

وكذلك يشبه زُهَيْرُ بن أبي سُلْمَى ناقته في ضمورها بقوس من الشريان:

تَظَلُّ تَمَطَّى في الزِّمَامِ كَأَنَّهَا   إذَا بَرَكَتْ قَوْسٌ مِنَ الشِّرْيَانِ (٥٩)

كما يشبه الحمر الوحشية أيضاً بأقواس السَّرَاء:

ثَلاثٌ كأقْوَاسِ السَّرَاءِ ونَاشِطٌ   قَدِ اخْضَرَّ مِنْ لَسِّ الغَمِيرِ جَحَافِلُه(٦٠)

أما الشَّمَّاخ فيشبِّهها بالرماح التي رُكِزت وجهة الريح فتميل معها:

وظَلَّتْ تَفَالَى باليَفَاعِ كَأَنَّها   رِمَاحٌ نَحَاهَا وِجْهَةَ الرِّيْحِ رَاكِزُ (٦١)

كما يبدو أثر الحرب واضحاً في تشكيل الصورة الأدبية في خيال الشعراء العرب عندما يصفون الثور الوحشي، فيصورون المعركة بينه والكلاب في صورة لا تختلف كثيراً عن تصويرهم للمعركة الحقيقية مع أعدائهم، فيستعيرون منها كثيراً من أدواتها ومعانيها ومشاهدها، كما في قول النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِي يصف تلك المعركة:

أهْوَى له قَانِصٌ يَسْعَى بِأَكْلُبِـهِ   عَارِي الأشَاجِعِ مِنْ قُنَّاصِ أنْمَـارِ(٦٢)

مُحَالِفُ الصَّيْدِ، هَبَّاشٌ، لَهُ لحَـمٌ،   ما إنْ عليـهِ ثِيَابٌ غيْرُ أطْمَـارِ

يَسْعَى بِغُضْفٍ بَرَاها، فهي طاوِيَةٌ،   طولُ ارْتِحَـالٍ بها مِنْهُ وتَسْيَارِ

حتَّى إذا الثَّوْرُ بعْدَ النَّفْرِ، أمْكَنَهُ، أشْلَى، وأرْسَلَ غُضْفَاً كُلُّها ضَارِ

فَكَرَّ مَحْمِيَّةً، مِنْ أنْ يَفِرَّ، كَمَا   كَرَّ المُحَامِي حِفَاظاً خَشْيَةَ العَـارِ

فَشَكَّ بالرَّوْقِ مِنْها صَدْرَ أوَّلِهَا   شَكَّ المُشَاعِبِ أعْشَاراً بِأعْشَارِ

ثُمَّ انْثَنَى بَعْدُ، للثَّانِي فَأقْصَـدَهُ   بِذَاتِ ثَغْرٍ بَعِيـدِ القَعْرِ، نَعَّارِ

وأثْبَتَ الثَّالِثَ البَّاقِي بِنَافِذَةٍ،   مِنْ بَاسِلٍ، عَالِمٍ بالطَّعْنِ، كَرَّارِ

وظَلَّ فِي سَـبْعَةٍ مِنْهَا لَحِقْنَ بِـهِ   يَكِرُّ بالرَّوْقِ فِيْهَا كَرَّ إسْـوَارِ

حَتَّى إذا مَا قَضَى مِنْهـــا لُبَانَتَـهُ   وَعَـادَ فِيْهَا بإقْبَـالٍ وإدْبَـــارِ

انْقَضَّ كالكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ مُنْصَلِتَاً   يَهْوِي ويَخْلِطُ تَقْرِيْبَاً بِإحْضَارِ

وهنا يبدو التقارب واضحاً بين صورة المعركة الحقيقية وصورة المعركة بين الثور والكلاب كما وصفها النابغة، هذا بالإضافة إلى أن الألفاظ التي استخدمها أيضاً في هذا الوصف هي من الألفاظ المعهودة في وصف المعارك الحقيقية مثل: كرَّ محمية، يفر، كر المحامي، شكَّ صدر أولها، أقصده، بذات ثغر، باسل، عالم بالطعن، كرَّار، إقبال، إدبار، إسوار. ولم يكن النابغة وحده الذي نحا هذا المنحى في وصفه للقاء الثور بالكلاب وإنما يشاركه فيه كثير من الشعراء القدامى.

ولعله من جيد التشبيه بأدوات الحرب تشبيه عَمْرُو بن كُلْثُوم لقرى اليمامة التي ظهرت أمامه إذ شبهها بأسياف بأيدي مصلتين إذ يقول:

فأعْرَضَتِ اليَمَامةُ واشْمَخَرَّتْ، كأسْيَافٍ بأيْدِي مُصْلِتِينا(٦٣)

ولا يخفى البعد الذي بين المشبّه والمشبَّه به في هذا التشبيه الأمر الذي جعل الشاعر غير مسبوق إليه، وكما يقول ابن رشيق: (وإنما حسن التشبيه أن يقرِّب بين البعيدين حتى تصير بينهما مناسبة).(٦٤) فهذه الصورة الخيالية التي بنى عليها الشاعر عمرو بن كلثوم تشبيهه هي مما أوحت إليه به تجاربه في حياته إذ إنه من أرباب السيف في مجتمعه كما ورد في أخباره.(٦٥) وقد تكون مناسبة القصيدة نفسها هي التي أوحت للشاعر عمرو بن كلثوم هذا التشبيه، فقد نظمها عند ما قتل الملك عمرو بن هند الذي سولت له نفسه إذلال أم الشاعر في مجلس أم الملك،(٦٦) فقد يكون الشاعر عمرو بن كلثوم منشغلاً بأمر الحرب وأدواتها عند نظمه هذه القصيدة مما قدح مثل هذا التشبيه في مخيلته.

كذلك يظهر أثر الحرب وأداتها في تشكيل الصورة الأدبية واضحاً في وصف تأبَّطَ شَرًّا قلة بارزة ارتقاها في شهر من شهور الصيف، فشبهها بسنان الرمح في قوله:

وَقُلَّةٍ كَسِنَانِ الرُّمْـحِ، بَارِزَةٍ، ضَحْيَانَةٍ، في شُهُورِ الصَّيْفِ مِحْرَاقِ (٦٧)

فلعل تشبيه القلة بسنان الرمح هو أيضًا مما تبدو فيه الغرابة والبعد بين المشبه والمشبه به، وربما كان لحياة الصعلكة التي عاشها

الشاعر أكبر دافع له إلى هذا التشبيه، تلك الحياة التي تجعل الصعلوك ممسكاً بسلاحه في كل أحواله وأوقاته بل ربما كان سلاحه هو كل ما يمتلكه و يعتمد عليه في حياته، ولذا حفلت قصائد الشعراء الصعاليك بالوصف المفصل لأسلحتهم، فربما يكون من الغريب أو مجافاة الطبع ألا يشبه تأبط شرا القلة بسنان الرمح أو أي سلاح آخر.

أما تشبيه الشيء الطويل بالرمح أو بظل الرمح فهو من التشبيهات المعروفة عند العرب. (٦٨)ولعل وجه الشبه هنا يكون قريبًا ومألوفًا إذا كان المشبه محسوسًا ومتصفًا بالطول، أما إن كان معنويًا فربما يكتنفه شيء من الغرابة للبعد الذي بين المعنوي والمحسوس وذلك كما في قول قَيْسِ بن المُلَوَّح يشبه اليوم في طوله:

ويَوْمٍ كَظِلِّ الرُّمْحِ، قَصَّرْتُ ظِلَّهُ   بلَيْلَى، فَلَهَّانِي، وَمَا كُنْتُ نَاسِيَا (٦٩)

ولعل جمال هذا التشبيه يكمن في هذه الغرابة الناتجة من هذا البعد بين المعنوي والمحسوس من ناحية، ومن بعد المشبه به عن طبيعة حياة هذا الشاعر الغزلي العذري من ناحية أخرى، فما أبعده عن الحرب وأدواتها! ولكنها مع ذلك فهي قريبة من خياله لا تكاد تبرحه.

ويماثله في تجسيم المعاني المعنوية في صورة أدوات حرب قول الشاعر عَدِي بن الرِّقَاع مجسِّماً قصيدته في صورة قناة، ومشبِّهاً تنقيحه لها مرة بعد مرة بنظر المثقّف في قناته ليقوِّم اعوجاجها:

وَقَصِيْدَةٍ قَدْ بِتُّ أَجْمَعُ بَيْنَها،   حَتَّى أَقَوِّمُ مَيْلَهَا وَسِنَادَهَا (٧٠)
نَظَرَ المُثَقِفِ فِي كُعُوْبِ قَنَاتِهِ،   حَتَّى يُقِيْمُ ثِقَافُهُ مُنْآدَهَا

ولعله من غريب التشبيه الذي أوحت به صورة الحرب وأدواتها إلى أخيلة الشعراء العرب، تشبيه أبي دُؤَيْب الهُذَلِي محبوبته حال إسرافها في تطييب رأسها وصب الطيب عليه برجل شج رأسه فسالت دماؤه:

وَصُبَّ علَيْهَا الطِّيْبُ حَتَّى كَأَنَّهَا   أَسِيٌّ عَلَى أُمَّ الدِّمَاغِ، حَجِيْجُ (٧١)

فشتان ما بين صورتي المشبه والمشبه به في هذا التشبيه إذا

نظر إليه بالمقاييس النفسية المعاصرة، فالصورة الأولى تنبعث من نفس ملؤها التفاؤل والإحساس بالجمال، والثانية تنبعث من نفس ملؤها القسوة والاشمئزاز، ولعل هذا ما لفت انتباه الأستاذة نورة الشملان فزعمت أنه لا يتفق مع الجو النفسي للشاعر إذ قالت معلقة عليه:(إن هذا التشبيه من التشبيهات شديدة البداوة التي يبدو أن الذوق الحضري حتى في عصر الشاعر لا يستسيغها، وأن هذه الصورة منفرة ولا تتفق مع الجو النفسي الذي يعيشه الشاعر، فالذي يصف محبوبته لا يتذكر إلا النواحي المشرقة الجميلة، أما أن يتذكرها بالجراح والدواء فهذا أمر غريب حقاً). (٧٢) فقد نظرت الأستاذة نورة إلى هذا التشبيه بعين إنسان معاصر يعيش في آخر القرن العشرين متجاهلة البعد الزمني بينها والشاعر، ولكن ربما غاب عنها أن هذا التشبيه الغريب – في نظرها- أملته على الشاعر حياته وظروفه الاجتماعية الخاصة، وكذلك مقاييس الجمال التي في عصره والتي تختلف كثيرًا عن مقاييس الجمال المعاصرة لها، ما جعله مألوفاً لدى الشاعر وقومه، فحياة الشاعر في قبيلة هذيل التي عرفت باحتراف معظم أفرادها لحياة الصعلكة، يجعل هذه الصورة للمشبه به من الصور المألوفة في هذه القبيلة، وبخاصة إذا ما كان هذا الأسي على أم دماغه ممن سطا عليه الشاعر أو قبيلته، فما أجمله في نظرهم! وكم من صورة كانت مبعثاً للحزن في نفوس قوم وكانت في نفس الوقت مبعثاً للفرح في نفوس آخرين، كصورة عمورية وقد عاثت فيها جيوش المعتصم تخريباً وهدماً وحرقاً ساء أهلها وأحزنهم أيما حزن، وفي المقابل أفرح الشاعر أبا تمام وقومه أيما فرح حتى رأى في صورتها الخربة حسناً يفوق حسن ربع مية معموراً، وجمالاً يفوق جمال خدود الحسناوات وقد احمرَّت من الخجل، فأخذ يقول مصوراً ذلك المشهد:

مَا رَبْعُ مَيَّة مَعْمُوْرَاً، يَطِيْفُ بِهِ غَيْلانُ، أَبْهَى رُبَاً مِنْ رَبْعِهَا الخربِ(٧٣)
ولا الخُدُودُ وإنْ أدْمَيْنَ مِنْ خَجَلٍ أَشْهَى إلى نَاظِرِي مِنْ خَدِّهَا التَّرِبِ

ب- شعر الغزل:

لعله مما يساند الزعم السابق بأن صورة الحرب وأدواتها وما يصاحبها من قتل وسفك دماء كانت من الصور المألوفة والمحببة إلى نفوس العرب، أن شعراء الغزل الحسي والعذري معاً أولئك الذين يتغنون بجمال المحبوبة وحسنها ويبدون تعلقهم وولههم بها، قد وجدوا في صورة الحرب وأدواتها ومعانيها مرتعاً خصيباً لأخيلتهم، فاستوحوا منها التشبيهات والاستعارات التي عوّلوا عليها كثيرًا في إيراد معانيهم الغزلية، حسية كانت أو عذرية، بالرغم مما بين ميدان الغزل وميدان الحرب من بون شاسع إن لم يكن من قبيل المتاضادات، لأن الأول مبعثه عاطفة الحب والشوق والثاني مبعثه عاطفة البغض والكراهية، ولكن رؤية الشاعر القديم للأمرين تجعلهما متقاربين عنده، فكلاهما مصدر معاناة له، بل أنه قد يعاني من صدّ محبوبته وبعدها عنه أشد مما يعانيه من عدوه اللدود الذي بإمكانه أن يتقيه أو يتغلب عليه، فأصبح يرى في محبوبته صورة عدوه وفي عدوه صورة محبوبته حتى التبس عليه الأمران، ولذا فهو لا يرى غرابة في أن يُشبِّه محبوبته بعدوِّه الذي يسعى لسفك دمه، كما يقول الشاعر أبُو الشَّيْص الذي زعم أنه قد شملهما سوياً بحبه لتشابههما عنده:

أَشْبَهْتِ أَعْدَائي، فَصِرْتُ أُحِبُّهُمْ   إذْ كَانَ حَظِي مِنْكِ حَظِي مِنْهُمُ (٧٤)

وإكمالاً لهذه الصورة كثيراً ما تخيل الشعراء أنفسهم في معركة الحب قتلى ومحبوباتهم قاتلات، كما في قول المُثَقّبِ العَبْدِي إذ تخيّل محبوبته وصاحباتها الحسان قواتل للفرسان الشجعان مع كونهن واكنات على الرجائز، ولا يخفى ما في قوله (واكنات) من إيحاء بالضعف واللين ومع ذاك فهن القاتلات كما يزعم:

وهُنَّ عَلَى الرَّجَائِزِ وَاكِنَاتٌ   قَوَاتِلُ كُلِّ أَشْجَع مُسْتَكِيْنِ (٧٥)

ويغازل أبُو فِرَاسِ الحَمْدَانِي محبوبته التي أنكرته لطول غيابه عنها في أسره، فيخبرها بأنه أحد قتلاها فتشتطُّ في تجاهلها له بزعمها أنها لم تزل تجهله لكثرة قتلاها من المحبين غيره:

تُسَائِلُنِي: مَنْ أَنْتَ؟ وَهْيَ عَلِيْمَةٌ   وَهَلْ بِفَتَىً مِثْلِي عَلَى حَالِهِ نُكْرُ؟(٧٦)

فَقُلْتُ كَمَا شَاءَتْ وشَاءَ لَهَا الهَوَى: قَتِيْلُكِ. قَالَتْ: أَيُّهُمْ فَهُمْ كُثْـرُ؟

ويرى الشَّرِيْف الرَّضِي في طرف محبوبته سجلاً يخبره بأسماء الكثيرين من قُتِلوا بحبها:

كَأَنَّ طَرْفَكِ يَوْمَ الجِزْعِ يُخْبِرُنَا،   بِمَا طَوَى عَنْكِ مِنْ أَسْمَاءِ قَتْلاكِ
(٧٧)

وتعتد محبوبة عُمَرَ بن أبي رَبِيْعَة بقتلها للمحبين دون أن يكون لهم قَوَدٌ:

نَحْنُ أَهْلُ الخَيْفِ، مِنْ أَهْلِ مِنَىً   مَا لِمَقْتُولٍ قَتَلْنَاهُ قَـوَدْ
(٧٨)

ولعل هذا دأب الحسان مع العاشقين كما يزعم الشَّرِيْفُ الرضي أنهن يقتلن النفوس ولا ديَّة أو قصاص:

لَهُنَّ اللهُ، كَيْفَ أَصَبْنَ مِنَّا   نُفُوسَاً مَا عُقِلْنَ ومَا وُدِيْنَا (٧٩)

ويرى أبو فِرَاس الحَمْدَاني في محبوبته الرومية عدواً تحرص على قتله لتأخذ بثأر من قتله الشاعر من أعمامها وأخوالها في حروبه مع الروم، وسلاحها سيف الهوى الذي سلته عليه:

قَاتِلِي شَادِنٌ، بَدِيْعُ الجَمَـالِ،   أَعْجَمِيُّ الهَوَى، فَصِيْحُ الـدَّلالِ(٨٠)

سَلَّ سَيْفَ الهَوَى عَلَيَّ، وَنَادَى: يَا لِثَـأرِ الأَعْمَـامِ والأَخْـوَالِ

ويتخيل الشاعر الدَّارِمِي تلك الحسناء في خمارها الأسود في صورة عدو قاتل، إذ يقول مناجياً لها ومسترحماً لمحبها الذي لم يقو -مع زهده وتعبده- على كبح جماح نفسه لما رآها :

قُلْ للمَلِيْحَةِ فِي الخِمَارِ الأَسْوَدِ   مَاذَا فَعَلْتِ بِزَاهِدٍ مُتَعَبِّـدِ؟!(٨١)
قَدْ كَانَ شَـمَّرَ للصَّلاةِ ثِيَابَـــــهُ   حَـتَّى خَطَرْتِ لَهُ بِبَابِ المَعْبَـدِ
رُدِّي عَلَيْهِ صَـلاتَهُ وَصِيَامَـــــهُ   لا تَقْتُلِيـه، بِحَقِّ دِيْـنِ مُحَمَّـدِ

ولعل محبوبة النَّابِغَة الذُّبْيَانِي أشد قسوة مع محبِّها ممن أولئك

اللاتي يقتلنه فيرحنه بالموت، فهي تصيب قلبه بسهمها وتتركه يقاسى أشد الألم بين الموت والحياة:

فِي إثْرِ غَانِيَةٍ رَمَتْكَ بِسَهْمِهَا   فَأصَابَ قَلْبَكَ غَيْرَ إنْ لَمْ تُقْصِدِ
(٨٢)

ويكمل الشاعر العربي القديم تخيّل محبوبته في صورة عدو قاتل بتخيله حبها سلاحاً تشهره وتعدُّه لقتله، ومثلما تخيله النابغة الذبياني في بيته السابق سهماً كذلك تخيله الشريف الرضي سهماً بل هو أشد عليه من السهم، لأن السهام الحقيقية محدودة المدى و سهام المحبوبة لا يحول بينها وبين هدفها بعد المدى، فهي ترسل سهامها من وادي ذي سلم بالحجاز لتصيب هدفها القاصي بالعراق:

سَهْمٌ أصَابَ وَرَامِيْهِ بِذِي سَلَمٍ   مَنْ بِالعِرَاقِ لَقَدْ أبْعَدْتِ مَرْمَاكِ
(٨٣)

و إذا عمد الشاعر إلى وصف محاسن محبوبته لا يجد في الغالب صورةً أقرب إلى خياله من صورة أدوات الحرب، وكأنه يريد بذلك إكمال الصورة السابقة التي أبدي فيها محبوبته في صورة عدو إذ لابد لهذا العدو من سلاح يحمل به على خصمه، ولا يرى الشاعر سلاحًا أمضى وأفتك مما تدججت به محبوبته من محاسنها ومفاتنها التي لا يقدر على مقاومتها والثبات أمامها، فما أخطرها عليه!. ولذا فهو يرى محاسنها سيوفا مصلتة ورماحا مشرعة وسهاما مفوّقة وأقواساً ُمرنّة، فهاهو عَنْتَرَةُ يرى جفون العذارى أحد من السيوف ولذا فإنها يذل لها الشجاع:

جُفُوْنُ العَذَارَى مِنْ خِلالِ البَرَاقِعِ   أحَدُّ مِنَ البِيْضِ الرِّقَاقِ القَوَاطِعِ
(٨٤)

إذَا جُرِّدَتْ ذَلَّ الشُّجَاعُ، وأصْبَحَتْ   مَحَاجِرُهُ قَرْحَى بِفَيْضِ المَدَامِعِ

وكذلك يرى أبو فِرَاس الحَمْدَاني لحاظ محبوبته سيوفاً قواطع مصلتة على قلب المحب:

وأجْرَتْ دُمُوعَاً مِنْ جُفُونٍ لِحَاظُها   شِفَارٌ، علَى قَلْبِ المُحِبِّ قَوَاطِعُ (٨٥)

وأيضاً يتخيل أبُو نُوَاس المقل سيوفاً أُعِدَّت لقتله:

أرَاهُ سَوْفَ يَقْتُلُنِي،   بِبَعْضِ سُيُوفِ مُقْلَتِهِ(٨٦)

ويفصِّل الشاعر الحُصَرِي وصف محاسن محبوبته أحسن تفصيلُ فيتخيل مقلتها سيفاً تشهره في وجوه العاشقين، كما يتخيل النعاس الذي يكتنفها غمداً، ولكنها مع ذلك لا تغمد سيفها بل تريق به دم العشاق وأولهم الشاعر، ثم يزعم أن عينيها سفكتا دمه ثم جحدتاه بالرغم من اعتراف خديها به إذ إن توردهما دليل عليه:

يَنْضُو سَيْفَاً مِنْ مُقْلَتِهِ   وَكَأنَ نُعَاسَاً يُغْمِدُهُ(٨٧)
فَيُرِيْقُ دَمَ العُشَّاقِ بِهِ   والوَيْلَ لِمَنْ يَتَغَمَّدَهُ
كَلاَّ لا ذَنْبَ لِمَنْ قَتَلَتْ   عَيْنَاهُ، وَلَمْ تَقْتُلْ يَدَهُ
يَا مَنْ جَحَدَتْ عَيْنَاهُ دَمِي   وَعَلَى خَدَيْهِ تَوَرُّدُهُ
خَدَاكَ قَدْ اعْتَرَفَا بِدَمِي   فَعَلاَمَ جُفُونُكَ تَجْحَدُهُ
إنِّي لأُعِيْذَكَ مِنْ قَتْلِيوَأظُنُّكَ لا تَتَعَمَدُهُ

كذلك تخيّل ابن هَانِيء الأندلسي عيون محبوبته فتَّاكة كسيوف أبيها، ثم صور نفسه محتاراً بين الأمرّين وكلاهما مما يصعب احتماله، فأيهما يحتمل؟! فتكات طرفها أم سيوف أبيها المشهرة في وجه كل من تسوِّل له نفسه الاقتراب من منزلها:

فَتَكَاتُ طَرْفِكِ أمْ سُيُوفُ أبِيْكِ؟   وكُؤُوسُ خَمْرٍ أمْ مَرَاشِفُ فِيْكِ؟ (٨٨)
أجِلادُ مُرْهَفَةٍ وَفَتْكُ مَحَاجِرٍ؟   لا أنْتِ رَاحِمَةٌ وَلا أهْلُوْكِ

ويمضي أبو الطيب المتنبي مع خياله إلى أبعد مما ذهب إليه ابن هَانِيء، فيزعم أن تسمية ما يغطي العين جفناً ناتج من أن العيون تعمل عمل السيوف أي الفتك، ولما كان ما يغطي السيف يُسمى جفناً سُمِّي ما يغطي العين بهذا الاسم أيضاً للدلالة على أن العيون والسيوف سواء في الفتك:

ولِذَا اسْمُ أغْطِيَةِ العُيُوْنِ جُفُوْنُهَا، مِنْ أنَّهَا عَمَلُ السُيُوْفِ عَوَامِلُ

(٨٩)

ويجيء من هذا القبيل أيضاً تخيله لنظرة المحبوبة ولقلبه سيفين زاعماً أن سيف النظرة أحد من سيف قلبه الحاد، بدليل أن سيف النظرة غادر في قلبه فلولاً وكاد يودى بحياته:

يَا نَظْرَةً نَفَتِ الرُّقَادَ، وَغَادَرَتْ في حَدِّ قَلْبِي مَا حَيِيْتُ فُلُـوْلا(٩٠)

كَانَتْ مِنَ الكَحْلاءِ سُوْلِي، إنَّمَا أجَلِي تَمَثَّلَ في فُؤَادِي سُـوْلا

كما تخيل الشعراء العرب القدامى النظرات و العيون سيوفاً فتّاكة تخيلوها أيضاً سهاماً حادة تصيبهم بهن محبوباتهم، ومن ذلك قول امْرِىء القَيْس مخاطباً محبوبته التي ضربت بسهميها في أعشار قلبه:

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إلاَّ لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكِ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ(٩١)

وكذلك يزعم عَنْتَرة أن محبوبته عبلة قد رمت قلبه بسهم من لواحظها، أطلقته من قوس جفونها التي لا تطيش سهامها، ثم يعجب من سهام الجفون لأنها ترمي بلا قوس ولا وتر:

رَمَتْ عُبَيْلَةُ قَلْبِي مِنْ لَوَاحِظِهَا بِكُلُّ سَهْمٍ غَرِيْقِ النَّزْعِ فِي الحَوَرِ(٩٢)

فَاعْجَبْ لَهُنَّ سِهَامَاَ غَيْرَ طَائِشَةٍ مِنَ الجُفُوْنِ بَلا قَـوْسٍ ولا وَتَرِ

يأتي من باب تخيل محاسن المحبوبة سلاحاً أن ينسب الشاعر لتلك المحاسن صفة الفتك بالعاشق وقتله، كما زعم الشاعر جرير أن العيون الحور قد قتلته:

إنَّ العُيُـوْنُ التي في طَرْفِهَا حَـوَرُ قَتَلْنَنَـا، ثُمَّ لَمْ يُحْيِيْنَا قَتْلانَـا (٩٣)

يَصْرَعْنَ ذَا اللُّبِّ حَتَّى لاحِرَاكَ بِهِ، وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللهِ إنْسَـانَا

وكذلك يتخيل المتنبي حدق الحسان من القواتل التي لايقدر أحد

على مقاومتها ومدافعتها ولو كان شهماً شجاعاً كممدوحه الذي يذم من كل القواتل الأخري، إذ يقول محسناً التخلص من الغزل إلى المدح:

حَدَقُ الحِسَانِ مِنَ الغَوَانِي هِجْنَ لِي يَوْمَ الفِرَاقِ صَبَابَةً وَغَلِيْلا (٩٤)
حَدَقٌ يَذُمُ مِنَ القَوَاتِلِ غَيْرِهَا بَدْرُ بن عَمَّارِ بن إسْمَاعِيلا

لم تكن اللواحظ وحدها التي تخيلها الشعراء في صورة سلاح فحسب بل ذهبوا بأخيلتهم ألى أبعد من ذلك ليتخيلوا قوامها أيضاً صَعْدَةٍ (قناة رمح)، يريدون بذلك اعتدال قوامها أوطوله مثلما في قول الشاعر عَبِيْدِ بن الأبْرَص:

خُرَّدٌ بَيْنَهُنَّ خَوْدٌ سَبَتْنِي بِدَلالٍ، وَهَيَّجَتْ أَطْرَابِي(٩٥)
صَعْدَةٌ مَا عَلا الحَقِيْبَةَ مِنْهَا، وَكَثِيْبٌ مَا كَانَ تَحْتَ الحِقَابِ

ومثله قول عُمَرِ بن أبي رَبِيْعَة مشبهاً محبوبته بالقناة أيضاً في قوامها:

إنَّمَا ضَلَّلَ قَلْبِى فَاجْتَوَى صَعْدَةٌ في سَابِرِيٍ تَطَرِدْ(٩٦)

يلاحظ أن الشعراء في تخيلهم لمفاتن المحبوبة أدوات حرب قد خصُّوا بأكثر وصفهم عينى المحبوبة، ولعل ذلك يرجع إلى أنهما أكثر ما يشد انتباههم ويجذبهم إليها، إضافة إلى كونهما وحدهما ما يُتاح لهم رؤيته رؤية مباشرة من مفاتنها، كما يلاحظ أنهم غالباً ما تخيلوهما سهاماً أو سيوفاً، ولم يتخيلوهما رماحاً مثلاً، فلعل ذلك مرجعه إلى أن السهام أبعد مدى من الرماح وكذلك السيوف أشد فتكاً منها.

من محاسن المحبوبة التي عني الشعراء بوصفها أيضاً أسنانها، فكثيراً ما وصفوها بأنها مصقولة، كما في قول الأعْشَى يصف أسنان محبوبته:

غَرَّاءُ فَرْعَاءُ، مَصْقُوْلٌ عَوَارِضُهَا
تَمْشِي الهُوَيْنَىكَمَا يَمْشِي الوَجِي الوَحِلُ(٩٧)

ومن ذلك أيضاً قول سُوَيْدِ بن أبي كَاهِلِ يصف ثغر محبوبته:

صَقَلَتْهُ بِقَضِيْبٍ نَاضِـــرٍ مِنْ أَرَاكٍ طَيِّبٍ حَتَّى نَصَعْ(٩٨)

فلعله في وصفهم للأسنان بتلك الصفة بتخصيص هذه الكلمة (الصقل ومشتقاتها) ما يوحي بقصدهم إلى تشبيه أسنانها بالسيوف في لمعانها وبريقها، لكثرة ارتباط الصقل بوصف السيوف، وإلا كان بإمكانهم استخدام غيرها من المفردات ما يوصلهم إلى هذا المعنى.

كذلك عني الشعراء القدامى بوصف زينة الحسان فتخيلوها أيضاً سلاحاً أعد للفتك بهم، على نحو ما تخيل الشريف الرضي دمالجهن وبريهن رماحاً يطاعنّ بها قلوب العاشقين:

لَقِيْنَ قُلُوْبَنَا بِجُنُوْدِ حَرْبٍيُطَاعِنُ بِالدَّمَالِجِ وَالبُرِيْنَا(٩٩)

وعلى نحو قريب من ذلك يتخيل أبو الطيب المتنبي الدمالج والخلاخل رماحاً تطعن به الحسان ثغر الرجال إذ يقول:

مِنْ طَاعِنِي ثُغُرِ الرِّجَالِ جَآذِرٌ ومِنَ الرِّمَاحِ دَمَالِجٌ وخَلاخِلُ(١٠٠)

من الصور التي تتصل اتصالاً وثيقاً بالحرب ويكثر الشعراء من إيرادها في التعبير عن معاني العشق أيضاً صورة الأسر، فإذا أراد الشاعر أن يعبِّر عن هيمنة المحبوبة على قلبه واستيلائها على لبِّه حتى يصعب عليه الفكاك منها لا يجد أنسب من أن يصور نفسه أو قلبه أسيراً لديها، كما يقول امْرُؤ القَيْس مناجياً محبوبته التي أسرت نصف قلبه وقيدته في قيود من الحديد بعد أن قتلت نصفه الآخر:

أَغَـرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّـكِ قِاتِلِـي وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَلِ(١٠١)

وأَنَّكِ قَسَّمْتِ الفُــؤَادَ، فَنِصفُهُ قَتِيْلٌ، وَنِصْـفٌ فِي حَدِيْدٍ مُكَبَّـلِ

وكذلك يصوِّر الشاعر الفارس سُوَيْدُ بن أبي كَاهِلِ اليَشْكُرِي نفسه منهزماً أمام محبوبته التي أسرت قلبه وسلبت نومه ومضت بهما، فهو لا يلاقيها غير إلمام في منامه إذا أسمحت لطرفه بهجعة:

لا أُلاقِيْهَا وَقَلْبِي عِنْدَهَا، غَيْرَ إِلمَامٍ إذا الطَّرْفُ هَجَعْ(

(١٠٢)

ويزعم الشاعر زهير بن أبي سلمى أن محبوبته قد فارقته بعد أن أسرت قلبه مشددة عليه الأسر:

وفَارَقَتْكَ بِرَهْنٍ لا فَكَاكَ لَهُ يَوْمَ الوَدَاعِ فَأَمْسَى رَهْنُها غَلِقَا(١٠٣)

قال ثعلب في شرح البيت :(الرَّهْنُ هنا القلب). (١٠٤)

ويسير كَعْبُ بن زُهَيْر في درب أبيه فيورد معنى قريباً من هذا المعنى في مطلع لاميته:

بَانَتْ سُعَادُ، فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُوْلُ مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ(١٠٥)

ويستجدي جَمِيْلُ بُثَيْنَة محبوبته أن ترد عليه بعض عقله المأسور عندها كي يعيش به مع الناس ، فتأبى:

وإنْ قُلْتُ رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعِشْ بِهِ مَعَ النَّاسِ قَالَتْ ذَاكَ مِنْكَ بَعِيْدُ(١٠٦)

مثلما استمد الشعراء من صورة الحرب هذه الصور الخيالية التي عبّروا بها عن مدى تعلقهم بمحبوباتهم بالرغم من قسوتهن معهم، فقد أطلقوا لأخيلتهم الأعنة مرات عديدة لتنطلق إلى ميدان المعركة لتغتنم منها صوراً أخر يستعينون بها في تعبيرهم عن معاني العشق الأخرى، كتعبيرهم عن أيام صفاء الود وصدق المحبة مثلما عبّر عنها دُوْ الإصْبَعِ العَدْوَاني، بزعمه أن محبوبته ما كانت تركن لقول الوشاة وسعيهم لقطع علاقتها به بل كانت ترد كيدهم في نحروهم بما تبذله من صادق مودتها ومحبتها له، فتخيَّل هذا المعنى في صورة مستوحاة من الحرب إذ تخيَّلها ترميهم بسهامها التي لا تُخطىء مقاتلهم:

تَرْمِي الوُشَاةَ فَلا تُخْطِي مَقَاتِلَهُمْ بِصَادِقٍ مِنْ صَفَاءِ الوُدِّ مَكْنُون(١٠٧)

وهنا أنزل الشاعر المحبوبة منزلة الحليف في الحرب، فتخيلها حليفاً يذود عنه ويصدُّ عنه كيد أعدائه، خلافاً للصورة السابقة التي تخيلها فيها الشعراء عدواً يسعى لهلاكهم.

كذلك إذا أراد الشاعر أن يعبِّر عن مدى شدة حبه لمحبوبته لا يجد صورة أقرب إلى خياله مما يراه في الحروب من شدة حرص الجبان على روحه، وحبه لها حباً لا يعادله حب آخر، ولذا يَرَى الشاعر أبُو دُلَّفٍ العَجْلِي أن هذه الصورة هي الأنسب للتعبير عن مدى شدة حبه لمحبوبته، فيزعم لها أنه يحبها حباً يفوق حب الجبان لروحه كما يقول:

بِنَفْسِي يَا جِنَانُ، وأنْتِ مِنِّـي   مَحَلُّ الرُّوْحِ مِنْ جَسَدِ الجَبَانِ (١٠٨)

ولَوْ أنِّي أقُولُ مَكَانَ نَفْسِـي   خَشِيْتُ عليكِ بَادِرَةَ الزَّمَانِ
لإقْدَامِي إذَا مَا الخَيْلُ حَامَتْ   وَهَـابَ كُمَـاتُهَا حَرَّ الطِّعَانِ

ولعل الشاعر أبا دلف قد وجد في ذكر الحرب وصورها في هذه الأبيات، سلوى لنفسه المكلومة في العشق، فأخذ يسترسل في إيراد تلك الصور المحببة إليه، كإبداء صورته حال إقدامه وبلائه وإرخاصه لنفسه في الحرب، عَلَّ هذه الصورة المحمودة تشفع لـه عند محبوبته أو تعيد الثقة إلى نفسه المنهزمة في معركة حبها.

وكذلك عندما أراد الشاعر العذري جَمِيْلُ بُثَيْنَـة أن يعبِّر عن مدى تقديسه للعشق، لم يجد غير صور الحرب ومعانيها فذهب مع خياله ليتخيل عشقه للغواني جهاداً يعادل الجهاد في سبيل الله، كما تخيَّل كل من يُقْتَل عندهن شهيداً:

يَقُولُونَ جَاهِدْ يا جَمِيْلُ بِغَزْوَةٍ   وَأيِّ جِهَادٍ غَيْـرَهُنَ أُرِيْـدُ(١٠٩)

لِكُلِّ حَدِيْثٍ بَيْنَهُـنَّ بَشَاشَـةً   وَكُلُّ قَتِيْلٍ عِنْـدَهُنَّ شَهِيْـدُ

ولعله من غريب الخيال أن يتخيل الشاعر عُمَرَ بن أبي رَبِيْعَة الحسان مِجَنَّاً يتقي به الأعداء الذين يتربصون به، وذلك عندما دخل على إحداهن خدرها وقضى معها ليلته حتى داهمه الصبح وأهلها يحيطون بالخدر، فلم يجد سبيلاً للخلاص سوى أن يخرج متنكراً في زي فتاة مع ثلاث فتيات أحطن به فكن له كالمِجَنِّ كما يقول:

فَكَانَ مِجَنِّي دُوْنَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقِي   ثَلاثُ شُخُوْصٍ كَاعِبَانِ وَمُعْصِرُ(١١٠)

ج- شعر المدح والفخر والرثاء :

لقد كانت صور الحرب ماثلة أمام الشاعر العربي عندما يفتخر بنفسه أو بقومه، أو عندما يمدح ممدوحيه أو يرثي مرثييه، لارتباط ذكر الحرب بكثير من الصفات التي يحرص العربي على إيرادها ونسبتها إلى نفسه أو الآخرين، كإظهار الشجاعة وشدة البأس والإقدام والصبر على الشدائد. فبالإضافة إلى كثرة ورود هذه المعاني في وصف الشعراء القدامى للحروب في هذه الأبواب من الشعر، أفاد الشعراء أيضاً من صور الحرب وأدواتها الراسخة في أذهانهم في بناء الصور الخيالية التي استعانوا بها في التعبير عن معان أخرى لا تدخل في وصف الحرب، وقد كان ذلك على سبيل التشبيه أو المجاز، كتشبيه الرجل بالسيف مثلما ورد في قول مُتَمِّم بن نُوَيْرَة يرثي أخاه مالكاً حال نشوته واهتزازه فرحاً لقرى الضيوف، مشبهاً له في إشراق وجهه بنصل السيف إذ يقول:

أغَرَّ كَنَصْلِ السَّيْفِ، يَهْتَزُّ للنَّدَى إذا لَمْ يَجِدْ عِنْدَ امْرِىء السَّوْءِ
مَطْمَعَا(١١١)

كذلك شبه زُهَيْرُ بن أبي سُلْمَى ممدوحه بالسيف الهندواني الذي لا يخزي صاحبه في الحرب:

كالهُنْدُوَانِي لا يُخْزِيْكَ مَشْهَدُهُ   وَسْطَ السُيُوْفِ إذَا مَا تُضْرَبُ
البُهَم(١١٢)

ويسير كَعْبُ بن زُهَيْرٍ في درب أبيه فيشبه الرسول- صلى الله عليه وسلم- بالسيف المهند المسلول إذ يقول في لاميته:

إنَّ الرَّسُوْلَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ   مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ
مَسْلُوْلُ(١١٣)

كما يشبه الشاعر عَمْرُو بن قَمِيْئَةَ ممدوحه بالسيف الذي أخلص صقله:

فَتَىً يَبْتَنِي المَجْدَ مِثْلَ الحُسَا   مِ، أَخْلَصَهُ القَيْنُ يَوْمَاً

صِقَالا(١١٤)

وكذلك تخيل أبو ذُؤَيْبٍ الهُذَلِي نفسه وصاحبه سيفين عندما استنكر على فتاة لعوب محاولتها أن تجمعهما سوياً في حبها، فصوّر لها استحالة ذلك الأمر باستحالة جمع السيفين في غمد واحد:

تُرِيْدِيْنَ كَيْمَا تَجْمَعِيني وخَالِدَاً   وَهَلْ يُجْمَعُ السَّيْفَانِ وَيْحَكِ في غِمْدِ(١١٥)

وكذلك تخيَّل أبو الطيِّب المتنبي الرجل في صورة سيف، ثم شبَّه تقاعسه عن إدراك المعالي مع تملكه أسباب بلوغها بنبوة السيف الكهام:

عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ حَدٌّ وَقَدٌّ   وَيَنْبُو نَبْوَةَ القَضِمِ الكَهَامِ(١١٦)

ويعتد أبو الطيب بنفسه في موضع آخر عندما تكالبت عليه بنات الدهر في غربته بمصر، فبات طريح الفراش يكابد ويلات الحمى وويلات كافور الإخشيدي إذ لم يُنِلْه ما كان يؤمِّله، كما أنه لم يطلق سراحه حتى يمضي عنه إلى سواه مخافة أن يهجوه؛ فجعله معلقاً بين الأمل واليأس، فعندما أراد أن يصف حاله تلك لم يجد صورة أقرب إلى خياله من صورة مألوفة لديه من صور الحرب، وهي صورة الجواد الذي تعوَّد على ارتياد الحروب، فأُمْسِكَ عنها فأضرَّ به طول الجمام مع قلة المطعم، فقال مشبِّهاً نفسه به:

يَقُوْلُ لِي الطَبِيْبُ أكَلْتَ شَيْئاً   وَدَاؤكَ في شَرَابِكَ والطَّعَامِ(١١٧)

وَمَا في طِبِّهِ أنِّي جَـوَادٌ   أضَـرَّ بِجِسْمِهِ طُوْلُ الجِمَامِ

تَعَوَّدَ أنْ يُغَبِّرَ في السَّرَايَـا   وَيَدْخُلُ مِنْ قَتَامٍ في قَتَـامِ

فَأُمْسِكَ لا يُطَالُ لَهُ فَيَـرْعَى   ولا هُوَ في العَلِيْقِ ولا اللِّجَامِ

وكذلك يعتد سُوَيْدُ بن أبي كَاهِلِ اليَشْكُرِي بشجاعته وصبره على أذى خصمه وفصاحته وسلاطة لسانه عند الخصومة، فيشبه لسانه

بالسيف الحاد:

وَرَأى مِنِّي مَقَامَاً صَادِقَاً، ثَابِتَ المَوْطِنِ،كَتَّامَ الوَجَعْ (١١٨)
وَلِسَاناً صَيْرَفِيْاً صَارِمَاً كَحُسَامِ السَّيْفِ، مَا مَسَّ قَطَعْ

كما يعتد حسَّانُ بن ثابت بجودة شعره وفصاحة لسانه في مهاجاة الخصوم وتصديه لهم، فيستعير للسانه صفة الصرامة مشبهاً له بالسيف إذ يقول:

لِسَانِي صَارِمٌ لا عَيْبَ فِيْهِ وَبَحْرِي لا تُكَدِّرُهُ الدِّلاءُ (١١٩)

من الصور الخيالية المستوحاة من الحرب أيضاً والتي ترد في شعر الرثاء، تخيُّل الشاعر للموت في صورة جيش يهجم على عدوه الإنسان الذي لا يقوى على مدافعته وصد هجومه إذ ليس أمامه سوى الاستسلام، كما في قول الشاعر البُحْتُري يرثي الخليفة المتوكل:

فَمَا قَاتَلَتْ عَنْهُ المَنَايَا جُنُوْدُهُ وَلا دَافَعَتْ أَمْلاكُهُ وَذَخَائِرُه (١٢٠)

كما ترد هذه الصورة الخيالية أيضاً في شعر أبي ذُؤَيْبٍ الهُذَلِي يرثي أبناءه الخمسة الذين هجم عليهم الموت، فأودى بهم واحداً واحداً في فترة وجيزة أمام عينيه وقد بدا عاجزاً حزيناً ذاهلاً:

وَلَقَدْ حَرِصْتُ بِأَنْ أُدَافِعَ عَنْهُمُ فَإِذَا المَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لا تُدْفَعُ(١٢١)

د- شعر الشكوى:

كثيراً ما اشتكى الشعراء العرب القدامى من نكبات الدهر وويلاته وصروفه، فكثر تخيلهم للدهر في صورة عدو مشتطٍ في معاداته لهم، فهاهو عَمْرُو بن قَمِيْئَة يشكو من رمي بنات الدهر له من مكان خفي لا يراها منه، ولذا فهو لا يقدر على مواجهتها، كما يزعم أن ما ترميه به أشد عليه وأشر من النبل التي من الممكن اتقاؤها:

رَمَتْنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لا أَرَى فَكَيْفَ بِمَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامِ(١٢٢)

فَلَوْ أنَّهَا نَبْلٌ إذاً لاتَّقَيْتُهَا   ولَكِنَّمَا أُرْمَى بِغَيْرِ سِهَامِ

وقريب من هذا المعنى قول الشاعر زُهَيْرِ بن أبي سُلْمَى يشتكي رمي الدهر له إذ أودى بحياة نفر من قومه:

فَاسْتَأْثَرَ الدَّهْرُ الغَدَاةَ بِهِمْ   والدَّهْرُ يَرْمِيْنِي ولا أَرْمِي (١٢٣)

لَوْ كَانَ لِي قِرْنَاً أُنَاضِلُهُمَا طَاشَ عِنْدَ حَفِيْظَةٍ سَهْمِي

كذلك عندما تكالبت مصائب الدهر على الشاعر أبي الطيب المتنبي وجد في صورة الحرب خير معين له في وصف ما آل إليه حاله، فقال مشبِّهاً نفسه بمن تكاثرت عليه السهام حتى تكسَّرَ بعضها فوق بعضها الآخر:

رَمَانِي الدَّهْرُ بالأَرْزَاءِ حَتَّى   فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ(١٢٤)

فَصِرْتُ إذا أصَابَتْنِي نِصَالٌ   تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ

ولا يخفى ما في البيتين من غلو في المعنى لعل مرجعه شدة تشاؤم الشاعر وسوء ظنه بالدهر، وإلا كيف يكون قد نظم البيتين وهو في حاله تلك؟!.

تمثيل المعاني المعنوية في صورة حرب أو أدواتها:

قد يذهب الشاعر العربي القديم بخياله المملوء بصور الحرب إلى ما هو أبعد من التشبيه بالحرب وبأدواتها، فيذهب إلى تمثيل المعاني المعنوية في صورة حرب أو أداتها، فيكون لقوله معنيان: قريب ظاهر ويكون من وحي الحرب، وبعيد خفي يمثل المعنى المعنوي الذي يريده الشاعر، ويختلف هذا الأسلوب التعبيري عن التجسيم، لأن المعنى المراد في التجسيم يكون قريباً وظاهراً لوجود القرائن أو للتصريح بالشيء المعنوي الذي تم تجسيمه، أما في هذا الضرب من التعبير فأن الشاعر لا

يورد قرينة تقود إلى المعنى الخفي المقصود، كما لا يصرِّح به، حتى إنه ربَّما يتوهَّم السامع أن المُخْبَر عنه حرب أو سلاح على حسب دلالة الألفاظ والتراكيب التي استخدمت في إيراد المعنى، وقد لا يتوصل إلى المعنى الحقيقي المراد إلا بعد تقصٍّ منه واجتهاد، حتى يبدو كأن الشاعر قد تعمّد إخفاءه أو تناسيه أمام صورة الحرب التي أوردها، فهو من هذه الناحية أبعد مدى في الدلالة على استيلاء الحرب وصورها وأدواتها على خيال الشاعر العربي القديم وأثرها في تشكيل الصورة الأدبية، حتى يبدو كأنه إذا همَّ بالتعبير عن أي معنى من المعاني فإنه يجد نفسه منصرفاً إلى صور الحرب، وربما كان انصرافه إليها بصورة عفوية وبغير قصد أو تعمُّد منه، ما يؤكد على أنه لم يعد قادراً على صرفها عن خياله والفكاك منها، فأصبح يتمثلها في كل ما يراه أو يتخيله من معان. ومن أمثلة ذلك قول الشاعر سُوَيْدِ بن أبي كَاهِل اليَشْكُري يذكر مقارعته خصماً له:

وَارْتَمَيْنَا والأعَادِي شُهَّدٌ بِنِبَالِ ذَاتِ سُمٍّ قَدْ نَقَعْ(١٢٥)
بِنِبَالٍ كُلُّها مَدْرُوبَةٌ لَمْ يُطِقْ صَنْعَتَهَا إلا صَنَعْ

فالذي يقرأ هذين البيتين يظن أن الشاعر يصف حرباً دارت بينه وخصمه تراميا فيها بالنبال المسمومة الحادة في حضور أعاديهما، ولكن في الحقيقة لم تكن هذه المعركة سوى حرب كلامية لا مجال فيها للنبال، فصورها الشاعر على هذه الصورة الموهمة ربما لأنه كان يحدِّث نفسه بمحاربة خصمه على هذا النحو الذي حكاه في هذين البيتين، دون أن يورد من القرائن ما يصرف ألفاظه إلى المعنى الحقيقي.

وقريب من هذه الصورة الخيالية قول الشاعر أبي الطيِّب المُتَنَبِي يعرض بسيف الدولة عندما ساءت العلاقة بينهما:

وَمَا رَبَةُ القُرْطِ المَلِيْحِ مَكَانُهُ بِأجْزَعَ مِنْ رَبِّ الحُسَامِ

المُصَمَّمِ(١٢٦)

فَلَوْ أنَّ مَا بِي مِنْ حَبِيْبٍ مُقَنَّـــــعٍ   عَـذَرْتُ وَلَكِنْ مِنْ حَبِيْبٍ مُعَمَّمِ
رَمَي واتْقَى رَمْي وَمِنْ دُوْنِ مَا اتَّقَى   هَوَىً كَاسِرُ كَفِّي وَقَوْسِي وَأَسْهُمي

فالذي يقرأ هذه الأبيات وبخاصة البيت الأخير يظن أن معركة حقيقية قد دارت أُعْمِل فيها القوس والسهم، ولكن الأمر في حقيقته لا يعدو خلافاً بين الشاعر وسيف الدولة انتهى برحيل الشاعر عن سيف الدولة، فلا معركة ولاقوس ولا سهام.

وعلى هذا النحو يعتد الشاعر سُوَيْدُ بن أبي كَاهِلِ بنفسه قائلاً:

أَصْقَعُ النَّاسَ بِرَجْمٍ صَائِبٍ   لَيْسَ بِالطَّيْشِ وَلا بِالمُرْتَجَعْ (١٢٧)

فهذا الرجم الصائب الذي يرجمه أعداءه على رؤوسهم لم يكن رجماً حقيقياً بالحجارة أو ما يماثلها على نحو ما عبَّر عنه، بل كان بكلمات من لسانه تقع على الأعداء وقوع الحجارة على الرؤوس.

و يأتي على هذا نحو هذا الضرب من التخييل أيضاً قول الشاعر زُهَيْرِ بن أبي سُلْمَى:

وَمَنْ يَعْصِ أِطْرَافِ الزِّجَاجِ فَإِنَّهُ   يُطِيْعُ العَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ (١٢٨)

فمن يقف على المعنى الظاهر لهذا البيت يبدو له أن المعنى المقصود هو أن الذي يعصي مؤخرة الرمح لا بد أن يخضع لسنانها، ولكنه في الحقيقة غير ذلك، إذ إن الشاعر أراد أن يُبَصِّر بعاقبة رفض المتخاصمين للصلح، وأن يُبَيِّن للناس أن من لا يخضع للصلح لابد أن يلين وينكسر أمام الحرب.

ومن هذا القبيل أيضاً يأتي افتخار الشاعر عَمْرِو بن كُلْثُوم بقومه بني تغلب متحدياً بهم الملك عمرو بن هند إذ يقول مخاطباً له:

فَإِنَّ قَنَاتَنَا يَا عَمْرُو أَعْيَـــــتْ   عَلَى الأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ

تَلِيْنَا(١٢٩)

إذَا عَضَّ الثِّقَافُ بِهَا اشْمَأَزَّتْ   وَوَلَّتْهُ عَشَوْزَنَةً
زَبُوْنَا

عَشَوْزَنَةً إذَا انْقَلَبَتْ أَرَنَّتْ   تَشُجُّ قَفَا المُثَقِّفِ
وَالجَبِيْنَا

فالمعنى الظاهر لهذه الأبيات أنه يفتخر بصلابة قناة رمحهم التي لم تلن للأعداء السابقين وأنها لصلابتها لا تقبل التقويم بالثقاف، بل أنها ستنقلب على من يريد تثقيفها فتشج قفاه وجبينه، ولكن ما جدوى أن يفتخر بمثل هذا الأمر وما قيمته؟ وهل يحمل هذا محمل الفخر؟ لكن في الحقيقة أن القناة التي أرادها هي عزة قومه وقوتهم، وعلى هذا يكون المثقّف هو العدو الذي يريد أن يذلّهم، ويكون التثقيف ما يشنه عليهم من حروب وويلات، هذا ما رمى إليه الشاعر دون أن يورد من القرائن ما يوصل إليه ليقينه أن السامع لن يقصر به خياله وأداته عن الوصول إلى المعنى المراد، لأن التعبير بالقناة عن العزة ربما كان من المألوف لديهم لكثرة وروده في أقوالهم نثراً وشعراً.

ويجيء من هذا القبيل أيضاً قول الشاعر أبي الطيِّب المُتَنَبِي مبدياً تشاؤمه:

كُلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَنَاةً   رَكَّبَ المَرْءُ في القَنَاةِ سِنَاناَ(١٣٠)

وهنا أيضاً استلهم الشاعر أبو الطيب من صور الحرب وأداتها هذا الصورة الخيالية ليعبر بها عن تشاؤمه وسوء ظنه بالآخرين عامة، إذ لا يجدون سبيلاً للخير إلا أحالوه شراً، فهذا هو المعنى الحقيقي الذي أراده، فصوَّره في صورة من يُرَكِّب لكل قناة سناناً ليؤذي غيره.

خاتمة ونتائجه:

لاحظ علماء اللغة تأثير الظواهر الاجتماعية والاقتصادية على اللغة والأدب في أي مجتمع من المجتمعات، ولما كانت الحرب من أهم الظواهر الاجتماعية والسياسية التي شغلت المجتمع العربي عبر عصوره المختلفة؛ فقد كان تأثيرها واضحاً في مفردات اللغة العربية، فقد استخدم العربي كثيراً من مفردات الحرب ليعبر بها عن معان أخرى لا صلة لها بالحرب، وعلى هذا النحو أيضاً ظهر تأثيرها واضحاً في الأمثال العربية التي جاءت من وحي معرفة العرب بالحرب وأدواتها ليعبِّرُوا بها عن تجاربهم وخبراتهم في شتى أوجه الحياة الأخرى، وعلى هذا النحو سار الخطباء العرب في خطبهم مستعينين بخبرتهم بالحرب في بناء تشبيهاتهم ومجازاتهم ليعبروا بها عن مختلف المعاني التي يريدون إيصالها لسامعيهم، وعلى ذات المنحى التعبيري جاء القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف اللذان سارا على ما ألفه العرب من أساليب التعبير، كما وجد الشعراء العرب- في العصور القديمة - في الحرب وأدواتها مادة مناسبة لبناء معانيهم التي يريدون التعبير عنها في كل أغراض شعرهم، فأطلقوا لأخيلتهم الأعنة لتأتي من صور الحرب المتزاحمة في عقولهم بصور خيالية استعانوا بها في التعبير عن عشقهم لمحبوباتهم ومدحهم لممدوحيهم ورثائهم لمرثييهم وشكواهم مما يعانون وكذلك الحال في وصفهم للأشياء الأخرى ما يؤكد الأثر العظيم للحرب في تشكيل الصورة الأدبية.

الهوامش والتعليقات

١- الأغاني- أبو الفرج الأصفهاني- طبعة دار الثقافة- بيروت- الطبعة السادسة- ١٤٠٤هـ١٩٨٣م- ٣٦/١٣

* ثنية لفلف: اسم موضع.

٢- ديوان عامر بن الطفيل- دار الجيل – بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١٦هـ ١٩٩٦م- ٣٢١

٣- ديوان عمرو بن كلثوم- تحقيق إيميل بديع يعقوب - دار الكتاب العربي- بيروت- الطبعة الثانية- ١٤١٦هـ١٩٩٦م٧٧

* عصباً: جماعات ، ثبينا: متفرقة، متلببينا: مدججين بالسلاح.

٤- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى- دار الكتاب العربي- بيروت-الطبعة الثانية- ١٤١٦هـ١٩٩٥م- ٥٠

٥- الكامل في التاريخ- أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الملقب بابن الأثير- دار صادر- دار بيروت- بيروت- ١٣٨٥هـ١٩٦٥م- ٥٢٣/١

٦- المصدر السابق٥٦٦/١

٧- انظر سيرة بن هشام- دار إحياء التراث العربي- بيروت- الطبعة الثانية- ١٤١٧هـ١٩٩٧م-٢٧٨/٢و٦٨/٣ و٢٣٦و٨٧/٤

٨- البداية والنهاية – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي – هجر للطباعة والنشر- الجيزة- الطبعة الأولى- ١٤١٨هـ١٩٩٨م-٦٧٨/٩

٩- سيرة ابن هشام٢٠/٤

١٠-البداية والنهاية ٥٤٥/٩

١١-المصدر السابق٢٢٦/١٠

١٢-الكامل في التاريخ ٣٣٣/٩

١٣-المصدر السابق ٤٣١/١٠

١٤-المصدر السابق ٤٩٠ /١٠

١٥-المصدر السابق ٦٣٨/١٠

١٦-انظر المصدر السابق الجزء الحادي عشر

١٧- اللغة والمجتمع – د.عبدا لواحد وافي – دار نهضة مصر -١٩٧١م – ٧٧.

١٨- المدخل إلى تاريخ الفكر العربي الإسلامي – د.حسين الصديق – منشورات جامعة حلب – ١٩٩١م – ٢٢.

١٩-المعجم الوسيط- طبعة المكتبة الإسلامية- استانبول – الطبعة الثانية- ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م ٩٨/١

٢٠-لسان العرب – محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي- دار صادر- بيروت-٢٠/٩

٢١-المصدر السابق ٢٠٧/٣

٢٢-صحيح مسلم – مسلم بن الحجاج- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء التراث العربي- بيروت-٢٠٩٠/٤

٢٣-لسان العرب ٤٤٥/١٣
٢٤-المصدر السابق٣٠٨/١٣
٢٥-المصدر السابق ٣٠٨/١٣
٢٦-صحيح مسلم - ١٤٤٦/٣
٢٧-فتح الباري شرح صحيح البخاري – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- دار الفكر للطباعة والنشر-٤٨٤/٧
٢٨- المصدر السابق ٥١٢/٧
٢٩-مجمع الأمثال – أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - مطبعة السنة المحمدية – ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م-٣٥/١
٣٠-المصدر السابق٢٩٦/٢
٣١-المصدر السابق ٤٢١/١
٣٢-المصدر السابق ٣٥٠/١
٣٣-المصدر السابق ٣٨٠/١
٣٤-المصدر السابق ٣٦٦/١
٣٥-المصدر السابق ٣٥٨/٢
٣٦-المصدر السابق٤٣٣/١
٣٧-المصدر السابق ٢٩/٢
٣٨-المصدر السابق ٣٨/٢
٣٩-المصدر السابق ٩٧/٢
٤٠-المصدر السابق ١٢٧/٢
٤١-المصدر السابق ٢٣٢/٢
٤٢-المصدر السابق ٢٨٨/٢
٤٣-المصدر السابق ١٨١/٢
٤٤-المصدر السابق ٤٩٠/٢
٤٥-المصدر السابق ٤٩١/٢
٤٦-المصدر السابق ٥٢٨/٢
٤٧-فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢٨٣/١٢
٤٨-سنن البيهقي الكبرى- أبو بكر أحمد بن الحسن البيهقي- تحقيق محمد عبد القادر عطا- مطبعة دار الباز- مكة المكرمة- ١٤١٤هـ١٩٩٤م-٢٣٩/١٠
٤٩- سنن الترمذي – محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي- تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون- دار إحياء التراث العربي- بيروت-بدون تاريخ- ١٣٩/٥
٥٠- مسند أحمد- الإمام أحمد بن حنبل- طبعة عالم الكتب- بيروت- الطبعة الأولى-

١٤١٩هـ ١٩٩٨م – ٨٠٢/٥

٥١- فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤١٨/١١

٥٢- الكامل في اللغة والأدب- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد- مؤسسة المعارف – بيروت- الطبعة الأولى-١٤٢٠هـ١٩٩٩م- ١/١

* عجم: عضَّ وكانوا يعضون السهام لاختبار صلابتها.

٥٣- انظر ديوان الحماسة- أبو تمام حبيب بن أوس الطائي- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١٨هـ١٩٩٨م.

٥٤- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – أبو الحسن ابن رشيق القيرواني – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - دار الجيل – بيروت – بدون تاريخ ٢٨٩/١

* الصياقل: جمع صيقل من يقوم بصقل السيوف، منصل: حديدة السيف.

٥٥- المصدر السابق ٢٩١/١

٥٦- ديوان كعب بن زهير- دار الكتب العلمية – بيروت- ١٤١٧هـ١٩٩٧م-٥٠

٥٧- ديوان جرير- دار صادر بيروت ٤٦٩

٥٨- ديوان كعب بن زهير٥١

* التثقيف: تقويم الرمح بحديدة تسمى الثقاف.

٥٩- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى٢٦٣

٦٠- المصدر السابق١١٧

* السراء: شجر تتخذ منه القسي، ناشط: يخرج من بلد إلى بلد، اللس: الأخذ بمقدم الفم، الغمير:نوع من النبت.

٦١- ديوان الشماخ بن ضرار – دار الكتب العربي– بيروت- الطبعة الأولى ١٤١٤هـ١٩٩٤م٧١

* تفالى: يحك بعضها بعضاً بأحناكها، اليفاع: الأرض المرتفعة.

٦٢-ديوان النابغة الذبياني – دار القلم – بيروت – ١٤١٤هـ ١٩٩٤م ٥٨

* الأشاجع : العروق وعاري الأشاجع يعني نحيف بين العروق، أنمار: قبيلة، هباش: كسّاب، غضف: مسترخية الآذان يريد الكلاب، براها: أنحلها، أشلى: أغرى،المشاعب: النجار، أقصده: قتله، الإسوار: القائد، اللبانة: الحاجة، التقريب والإحضار: نوعان من الجري.

٦٣-ديوان عمرو بن كلثوم٧٠

* أعرضت: ظهرت، مصلتينا: من أصلت السيفبمعنى سله من غمده.

٦٤-العمدة ٢٨٩/١

٦٥-الشعر والشعراء – أبو محمد عبد الله بن قتيبة- دار إحياء العلوم- بيروت-

الطبعة الخامسة- ١٤١٤هـ١٩٩٤م-١٤٣

٦٦-المصدر السابق ١٤٣.

٦٧-المفضليات – المفضل محمد بن يعلى بن عامر الضبي- تحقيق د.قصي الحسين- طباعة دار الهلال – بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٩٨م - ١٨.

* القلة: قمة الجبل، ضحيانة: ظاهرة.

٦٨-مجمع الأمثال ٢٩٦/٢

٦٩- ديوان مجنون ليلى– دار الكتاب العربي- بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١٩هـ ١٩٩٨م- ٢٠٢

٧٠- الشعر والشعراء ٤٥

* السناد: من عيوب القوافي.

٧١- ديوان الهذليين- تحقيق أحمد الزين- طبعة دار الكتب العلمية- القاهرة – ١٣٦٤هـ ١٩٦٣م- ٨٥/١

* حجيج:مشجوج الرأس.

٧٢-أبو ذؤيب الهذلي حياته وشعره - نورة الشملان- شركة الطباعة العربية السعودية – الرياض- ١٤٠٠هـ ١٩٩٠م- ١٢٤

٧٣- ديوان أبي تمام- حبيب بن أوس الطائي- دار صعب- بيروت- ١٥

٧٤- الشعر والشعراء٥٥٧

٧٥- المفضليات١٦٣

* واكنات: جالسات مسترخيات.

٧٦- ديوان أبي فراس الحمداني – دار الكتب العلمية بيروت- بدون تاريخ-٦٥

٧٧- ديوان الشريف الرضي- دار الجيل- بيروت- الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ١٩٩٥م ٩٩/٢

٧٨- ديوان عمر بن أبي ربيعة- طبعة الأعلمي للمطبوعات- بيروت الطبعة الأولى- ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م-٨٩

٧٩- ديوان الشريف الرضي ٤٧٩/٢

* عقلن وودين: من العقل والدية بمعنى واحد.

٨٠- ديوان أبي فراس الحمداني ١٢٥

٨١- العقد الفريد- أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي- دار الكتاب العربي- بيروت- ١٤٠٣هـ١٩٨٣م- ١٥/٦

٨٢- ديوان النابغة الذبياني ٤٧

*تقصد: تقتل.

٨٣- ديوان الشريف الرضي ٩٩/٢

٨٤- ديوان عنترة – دار القلم ١٥١

٨٥- ديوان أبو فراس الحمداني ١١٠
* شفار: حادات.
٨٦- ديوان أبي نواس- دار صادر – بيروت- بدون تاريخ ١٢٨
٨٧- المنتخب من عصور الأدب- د.ذو النون المصري الجمل ورفقاؤه – طبعة عالم الكتب- الطبعة الثالثة- ١٩٨٧م-٧١
٨٨- ديوان ابن هانيء الأندلسي- دار صادر- بيروت- ١٤١٤هـ١٩٩٤م- ٢٥٢
٨٩- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي - دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى- ١٤٠٦هـ١٩٨٦م- ٢٣٣/١
٩٠- المصدر السابق ١٨٩/١
٩١- ديوان امرىء القيس- دار الكتب العلمية- بيروت- ١١٤
٩٢- ديوان عنترة ١٣٩
٩٣- ديوان جرير٤٩٢
٩٤- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي١٨٩/١
٩٥- ديوان عبيد بن الأبرص – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الأولى- ١٤١٤هـ ١٩٩٤م-٣٧
*خرد: أبكار، خود: حسناء ناعمة.
٩٦- ديوان عمر بن أبي ربيعة ٨٩
* السابري: نوع من الثياب.
٩٧- شرح ديوان الأعشى الكبير – ميمون بن قيس- دار الكتاب العربي- بيروت- الطبعة الثانية- ١٤١٤هـ١٩٩٤م-٢٧٨
٩٨- المفضليات١١١
٩٩- ديوان الشريف الرضي ٤٧٩/٢
* الدمالج: الدملج السوار، البرينا: جمع برة حلقة تعلق في الأنف من زينة النساء.
١٠٠- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ٢٣٣/١
١٠١- ديوان امرىء القيس١١٤
١٠٢- المفضليات١١٤
*إلمام: سريع وعلى عجل.
١٠٣- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ٥٣
١٠٤- المصدر السابق ٥٣
١٠٥- ديوان كعب بن زهير٦٠
*متبول: من التبل وهو شدة الوجد.

١٠٦- ديوان جميل بثينة- دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الثانية- ١٤١٣هـ ١٩٩٣م. ٢٥
١٠٧- المفضليات٩٥
١٠٨- الأغاني٢٤٦/٨
١٠٩- ديوان جميل بثينة٢٧
١١٠- ديوان عمر بن أبي ربيعة١٠٩
* مجني: المجن الترس، الكاعب: الفتاة التي استدار نهدها، المعصر: الشابة في بداية الشباب.
١١١- جمهرة أشعار العرب - أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي- شرح د.عمر فاروق الطباع - دار القلم للطباعة والنشر- بيروت- ٢٢٣
١١٢- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ١٣٦
١١٣- ديوان كعب بن زهير ٦٧
١١٤- ديوان عمرو بن قميئة- تحقيق د. خليل إبراهيم العطية- عالم الكتب- بيروت- الطبعة الثانية- ١٤١٧هـ١٩٩٧م-٥٤
*القين: الحداد
١١٥- ديوان الهذليين ١٦١/١
١١٦- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ٢٤٧/٢
* القضم: السيف، الكهام:الذي لا يقطع.
١١٧- المصدر السابق ٢٤٩/٢
*القتام : الغبار وهنا أراد به غبار المعركة.
١١٨- المفضليات ١١٧
* الصيرفي: الذي يتصرف في الأمور كما يشاء، وهنا أراد البليغ.
١١٩- ديوان حسان بن ثابت – دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الثانية- بدون تاريخ ٢١
١٢٠- ديوان البحتري- دار صادر – بيروت- ٥٥/١
١٢١- ديوان الهذليين٢/١
١٢٢- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى٢٧٥
١٢٣- ديوان عمرو بن قميئة٧٩
١٢٤- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ١٢/٢
* الأرزاء: جمع رزء وهو المصيبة.
١٢٥-المفضليات ١١٧
* شهد: حاضرون، نقع: مجتمع ومركزن مذروبة: محددة، الصنع: المهر الحاذق.
١٢٦- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ٢٢١/٢

١٢٧-المفضليات١١٦
١٢٨-شرح ديوان زهير بن أبي سلمى٥٠
* الزجاج: مؤخرة الرمح، اللهذم: مقدمة الرمح.
١٢٩- ديوان عمرو بن كلثوم٧٩
* الثقاف: حديدة يقوم بها الرمح، العشوزنة : الصلبة، الزبون: المندفعة.
١٣٠- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي٢/٢٣٧

المصادر والمراجع

١- أبو ذؤيب الهذلي حياته وشعره - نورة الشملان- شركة الطباعة العربية السعودية – الرياض- ١٤٠٠هـ ١٩٩٠م
٢- الأغاني- أبو الفرج الأصفهاني- طبعة دار الثقافة- بيروت- الطبعة السادسة- ١٤٠٤هـ١٩٨٣م
٣- البداية والنهاية – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي – هجر للطباعة والنشر- الجيزة- الطبعة الأولى- ١٤١٨هـ١٩٩٨م
٤- جمهرة أشعار العرب- أبوزيد محمد بن أبي الخطاب القرشي- دار القلم للطباعة والنشر- بيروت.
٥- ديوان ابن هانيء الأندلسي- دار صادر- بيروت- ١٤١٤هـ١٩٩٤م.
٦- ديوان أبي تمام- حبيب بن أوس الطائي- دار صعب- بيروت.
٧- ديوان أبي فراس الحمداني – دار الكتب العلمية بيروت- بدون تاريخ.
٨- ديوان أبي نواس- دار صادر – بيروت- بدون تاريخ .
٩- ديوان البحتري- دار صادر – بيروت.
١٠- ديوان الحماسة- أبو تمام حبيب بن أوس الطائي- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١٨هـ١٩٩٨م.
١١- ديوان الشريف الرضي- دار الجيل- بيروت- الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ ١٩٩٥م
١٢- ديوان الشماخ بن ضرار – دار الكتب العربي– بيروت- الطبعة

الأولى.بدون تاريخ.

١٣- ديوان كعب بن زهير- تحقيق علي فاعور- دار الكتب العلمية – بيروت- ١٤١٧هـ١٩٩٧م

١٤- ديوان النابغة الذبياني- دار القلم- بدون تاريخ .

١٥- ديوان الهذليين- تحقيق أحمد الزين- طبعة دار الكتب العلمية- القاهرة – ١٣٦٤هـ ١٩٦٣م.

١٦- ديوان امرىء القيس- دار الكتب العلمية- بيروت-

١٧- ديوان جرير- دار صادر بيروت

١٨- ديوان جميل بثينة- دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الثانية- ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

١٩- ديوان حسان بن ثابت – دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الثانية- بدون تاريخ

٢٠- ديوان عامر بن الطفيل- دار الجيل – بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١٦هـ ١٩٩٦م-

٢١- ديوان عبيد بن الأبرص – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الأولى- ١٤١٤هـ ١٩٩٤م

٢٢- ديوان عمر بن أبي ربيعة- طبعة الأعلمي للمطبوعات- بيروت الطبعة الأولى- ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م

٢٣- ديوان عمرو بن قميئة- تحقيق خليل إبراهيم العطية- عالم الكتب- بيروت- الطبعة الثانية- ١٤١٧هـ١٩٩٧م-

٢٤- ديوان عمرو بن كلثوم- تحقيق إيميل بديع يعقوب - دار الكتاب العربي- بيروت- الطبعة الثانية- ١٤١٦هـ١٩٩٦م

٢٥- ديوان عنترة – دار القلم.

٢٦- ديوان كعب بن زهير-تحقيق على فاعور- دار الكتب العلمية – بيروت- ١٤١٧هـ١٩٩٧م-

٢٧- ديوان مجنون ليلى– دار الكتاب العربي- بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١٩هـ ١٩٩٨م

٢٨- سنن البيهقي الكبرى- أبو بكر أحمد بن الحسن البيهقي- تحقيق محمد عبد القادر عطا- مطبعة دار الباز- مكة المكرمة- ١٤١٤هـ١٩٩٤م.

٢٩- سنن الترمذي – محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي- تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون- دار إحياء التراث العربي- بيروت-بدون تاريخ- ١٣٩/٥

٣٠- سيرة ابن هشام - دار إحياء التراث العربي- بيروت- الطبعة الثانية- ١٤١٧هـ١٩٩٧م-

٣١- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي - دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى-١٤٠٦هـ١٩٨٦م.

٣٢- شرح ديوان الأعشى الكبير – ميمون بن قيس- دار الكتاب العربي- بيروت- الطبعة الثانية- ١٤١٤هـ١٩٩٤م.

٣٣- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى- دار الكتاب العربي- بيروت-الطبعة الثانية-١٤١٦هـ١٩٩٥م.

٣٤- الشعر والشعراء – أبو محمد عبد الله بن قتيبة- دار إحياء العلوم- بيروت- الطبعة الخامسة- ١٤١٤هـ١٩٩٤م

٣٥- صحيح مسلم – مسلم بن الحجاج- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٣٦- العقد الفريد- أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي- دار الكتاب العربي- بيروت- ١٤٠٣هـ١٩٨٣م.

٣٧- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – أبو الحسن ابن رشيق القيرواني – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد -دار الجيل – بيروت – بدون تاريخ

٣٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- دار الفكر للطباعة والنشر.

٣٩- الكامل في التاريخ- أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الملقب بابن الأثير- دار صادر- دار بيروت- بيروت-١٣٨٥هـ١٩٦٥م.

٤٠- الكامل في اللغة والأدب- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد- مؤسسة المعارف – بيروت- الطبعة الأولى-١٤٢٠هـ١٩٩٩م

٤١- لسان العرب – محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي- دار صادر- بيروت-

٤٢- اللغة والمجتمع – د.عبدا لواحد وافي – دار نهضة مصر -١٩٧١م.

٤٣- مجمع الأمثال – أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - مطبعة السنة المحمدية – ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

٤٤- المدخل إلى تاريخ الفكر العربي الإسلامي – د.حسين الصديق – منشورات جامعة حلب – ١٩٩١م.

٤٥- المعجم الوسيط- طبعة المكتبة الإسلامية- استانبول – الطبعة الثانية- ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م

٤٦- المفضليات – المفضل محمد بن يعلى بن عامر الضبي- تحقيق د.قصي

الحسين- طباعة دار الهلال – بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٩٨م

٤٧- المنتخب من عصور الأدب- د.ذو النون المصري الجمل ورفقاؤه – طبعة عالم الكتب- الطبعة الثالثة- ١٩٨٧م